

## المدونة النقدية المغاربية... أية خصوصية؟

## The Maghreb Monetary Blog ... What privacy?

أحمد الصيد، المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة، [ahmedessaid28@gmail.com](mailto:ahmedessaid28@gmail.com)سلامي العيد\*، جامعة الجلفة، [laidslami@gmail.com](mailto:laidslami@gmail.com)

تاريخ النشر: 2023/06/ 10

تاريخ القبول: 2023/05/ 03

تاريخ الاستلام: 2023/02/ 01

## ملخص:

شكل الخطاب النقدي المغاربي على امتداده وبكل خصوصياته حضورا في الساحة النقدية العربية نظرا لتميزه وفرادته، بما قدم تأصيلا وتطبيقا للمناهج الغربية الحديثة والمعاصرة مرافقا بذلك الحركة الإبداعية. وحين نمنع النظر في هذه المنجز يساورنا الكثير من الاطمئنان، أن النقد الحدائثي البنيوي بكل أفرعه قد شكل عمدة الأداء على يد كل من عبد السلام المسدي وعبد المالك مرتاض والحمداني وغيرهم. أما النقد ما بعد البنيوي والذي قامت فلسفته على التقويض وانفتاح النص فنلمسه من خلال جهود الخطيبي ووحيد بوعزيز وآخرون. ولنتساءل في عجلة: إلى أي حد أسهمت الجهود في إثراء الساحة الفكرية والثقافية، وماهي خصوصياتها؟ ما آفاق النقد المغاربي وما مدى مساهمته لحركية الإبداع الواعدة التي يحفل بها المشهد الثقافي؟

**الكلمات المفتاحية:** النقد المغاربي/ ما بعد الحدائثية/ الخصوصية/ النقد الروائي.

## Abstract:

The Maghreb critical discourse on its extension and with all its peculiarities a presence in the Arab critical scene, given its distinction and uniqueness. With what he made an induction and application of modern and contemporary Western curricula, accompanying the creative movement.

And when we look at this accomplishment, we are very reassuring, that the structural modernist criticism in all its branches has formed the mayor of performance at the hands of Abdul Salam Al -Masdi, Abdel -Malik Murtada, Rahdani and others

As for the post -structural criticism, whose philosophy was based on undermining and opening the text, we will see it through the efforts of Al -Khatibi, Wahid Bouaziz and others. What are its privacy? What are the horizons of Maghreb criticism and how much does it follow the promising movement of creativity that the cultural scene is celebrated?

**Keywords:** Maghreb criticism; postmodernism; privacy; narrative criticism.

\* المؤلف المرسل: سلامي العيد

## مقدمة:

تعد المناهج النقدية المعاصرة أطرا منهجية وأدوات إجرائية هيأتها حركة الثقافة الغربية لاستكناه النصوص الأدبية وسبر أغوارها من الداخل وقد تلقفها النقاد العرب بالترجمة كمرحلة أولية ثم بالتأصيل لها ومساءلتها فيما بعد، غير أنهم وجدوا كثيرا من العنت حين تطبيقها على النصوص السرديّة العربية وربما ذهب بعضهم إلى حد لي أعناق النصوص ليستجيب منهجيا إلى هذه الإجراءات التطبيقية. وفي النقد المغاربي الذي انطلق كمثله المشرقي بالترجمة ثم في مقارنة ماتلقاه بالتطبيق رغم بعض الخصوصية التي طبعت أعمال واجتهادات النقاد المغاربة، ولذا راح هؤلاء في هذه الأقطار يمعنون النظر في هذه المقاربات ويحاولون الاقتراب والتأني في هضمها وتيسيرها للمتلقين مستفيدين من القرب الجغرافي لأوروبا والتمكن من اللغة الفرنسية باعتبار أن فرنسا تعد مهاد منظري المنهج البنيوي باكورة الحداثة الغربية، ولا أدل على ذلك من وجود أعلام هذا المنهج وأساتذته أمثال ليفي شتراوس ورولان بارت وميشيل فوكو وغريغاس ممن تركوا بصماتهم واضحة في مسار هذا المنهج.

لقد شكل الخطاب المغاربي حضوره المتميز في الساحة النقدية العربية، واستطاعت أسماء كثيرة أن تسهم بشكل وافر ومعتبر في إثراء التراكم المعرفي بمنجز واكب الحركية الإبداعية في المغرب العربي بل وحتى في مشرقه، كما استطاع أن يوفر لها التوجيه والمرافقة النقدية في كثير من الأحيان. ولا يخفى على الدارس -حين يمعن النظر- في هذا المنجز، أن النقد الحداثي بكل تلويناته وأفرعه: البنيوي الأسلوبي السيميائي شكل عمدة الأداء في الجهود النقدية للمغاربة، واستطاعت أسماء بمجهوداتها أن ترصع سماء النقد أمثال عبد المالك مرتاض والسعيد بوطاجين ومحمد مفتاح ولحمداي وتوفيق بكار والمسدي والقائمة طويلة.

وأمام هذا كله لنتساءل ماذا أضاف النقاد المغاربة لجهود نظرائهم المشاركة تأصيلا وتطبيقا؟ هل استطاع النقاد في هذه الأقطار أن يحققوا بعض التميز والفرادة وما هي خصوصية جهودهم في هذا المضمار وما مصير نقد ما بعد الحداثة في هذه الجهود؟ في هذه الدراسة يمكن الوقوف عند بعض أسس التفكير النقدي والتي شكلت الانطلاقة لدى النقاد المغاربة ومن ثمة الخصوصية التي طبعت أعمالهم، كما كانت العودة إلى بعض المرجعيات والحواضر الفكرية ودورها في الإفادة منه والوقوف عند التحولات السوسيوثقافية باعتبار أنه كان لها الدور المكين في تشكل هذا الخطاب.

لقد حاولت هذه الورقة الاستئناس بالمنهج الوصفي التاريخي في عملية استقصائية للوقوف عند أهم المحطات البارزة في تشكل هذا الخطاب، وإبراز أهم منجزاته وأعلامه في كافة الأقطار كما عرجت على الواقع والمأمول الذي ينتظر من هذه الحركية الواعدة في هذه الأقطار للوصول إلى ما يمكن أن يضمن المرافقة للمنجز الإبداعي، وأن يرتقي بالفكر النقدي نحو تحقيق الأفضل دوما خدمة للثقافة العربية وتطويرا لجهود أولئك العلماء الذين احترقوا من أجل تقديم الإضافة اللازمة في هذا السبيل.

## 2. دور الحواضر المغاربية في تشكيل روافد المعرفة:

تزخر بلاد المغرب العربي على امتدادها بوجود حواضر علمية وثقافية وروحية شكلت الحاضنة الطبيعية لرسو المعرفة على ضفافها. فقد أقام الفاتحون جامع الزيتونة في تونس وتجاوز دور العبادة ليصبح أول جامعة في العالم الإسلامي تضخ المعارف والآداب، فازدهرت الثقافة واحتشد الطلاب ينهلون منها، ولا أحد يخفى عليه ما لهذا الصرح العلمي والحضاري من أثر بين في نشر العلوم جميعها للتونسيين والجزائريين فقلما نجد أدبيا أو مثقفا من الرعيل الأول لم يأخذ عن علماء الزيتونة ولم يجلس في حلقتها. لقد تأسست المدارس والزوايا التي قام بإنشائها السلاطين الذين تعاقب حكمهم على هذه البلاد، كما كان لرجال الطرق الصوفية وأهل الإحسان دور في تمويلها والوقوف عليها بتوسعتها والإنفاق عليها فظهرت المكتبات والخزائن وهي من الدعائم الأساسية في نشر الثقافة لاحتوائها على مظان الكتب وأنفسها وبلغت تونس بهذا في العهدين الموحد والحقصي الذروة في الحضارة.

أما في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) فكانت بجاية وتلمسان وتيهرت حواضر حقيقية، لقد كان التواصل قائما بين هذه المدن الثقافية وسواها من بلاد المغرب الإسلامي نظرا للتوافق المذهبي والوشائج القبلية ونمو التجارة مما جعل أبناء هذه الأقطار يشعرون بتلك القرابة الحميمة فيما بينهم.

وفي بلاد المغرب الأقصى فقد شهدت مدينة فاس نشوء جامع القرويين في عهد بني مرين وكانت خزائن الكتب عامرة بالمخطوطات والكنوز النادرة التي تدل على حركية العلم وازدهاره ويذكر الفلصادي في رحلته المدونة وهي من أهم المصادر التاريخية والاجتماعية حيث ذكر الأماكن والعلماء، وتمكن من رصد صور الحياة الاجتماعية والفكرية بهذا القطر خلال القرن التاسع الهجري. هذه الحواضر كان لها الأثر الكبير في نبوغ نخبة من العلماء والبحاث والأدباء فيكفي أبناء هذه الأمصار فخرا أن عالم الاجتماع الأول ومؤسسه عبد الرحمان بن خلدون قد كتب مقدمته الشهيرة في مدينة تيارت على ما يقول المؤرخون، وأن أشهر نظم تعليمي كمنهجية لتحفيظ قواعد النحو العربي كانت في بلاد المغرب العربي على يد ابن معطي الزواوي وابن مالك الذي عارضه بألفيته الشهيرة معترفا له بالفضل والسبق وأصبحت فيما بعد مرجعا لكل دارس للنحو العربي عبر العالم العربي جميعه، كما تذكر عديد المصادر التاريخية أن مشاهير أوروبا قد درسوا بهذه الأقطار ومنهم الرسام الإيطالي ليونا ر دو دافنشي في بجاية.

وبعد هذه التوطئة التاريخية التي عرفتنا بدور الحواضر المغاربية ودورها في تشكيل قاعدة معرفية لسكان المنطقة وبخاصة طلبة العلم ومرتابيها من سدنة المعرفة، غير أن الذي يعيننا رأسا في هذه الدراسة هو وجود حركة علمية مؤطرة رسميا وشعبيا، مما يبين على تشكل حام المعرفة. لقد هيأت هذه البيئة الخصبة الثقافية حركة دؤوبة أضحت فيما بعد مرجعية علمية يستند إليها كل باحث بما جمعه من عديد الجهود والثقافات التي أثمرت تنوعا مفيدا وذخيرة يعتد بها في تشكيل خطاب معرفي -فيما بعد- يسائل العقل ويبث روح التجديد من خلال ثقافة التحديث، ولا يذهب بعيدا في التنكر لأصوله المنيعه التي شكلت على امتداد الزمن سياجا ولقاحا عبر حقب مديدة.

لقد اجتهد النقاد المغاربة في بناء منظومة معرفية نقدية ولعل هذا ما جعل الفلسفة باعتبارها أم العلوم جميعا تزدهر في الفكر المغربي تحديدا والمغاربي عموما مما يحيل على مساءلة النص وعدم الانقياد وراء تبعات الانصياع والانبهار بالآخر إلا ماستحسن منه، مع بناء منظومة نقدية مغاربية لها خصوصياتها مع النظر إلى ما ينجز في المشرق على أنه قمة الكمال المعرفي، ولعل الجدل حول علاقة المشرق بالمغرب ألقى بضلاله في كثير المناسبات الفكرية والثقافية بخصوص هذه القضية وانبرى الدكتور عبد الملك مرتاض بكتاب في هذا المنحى وقد اعتبر حينها لائحة اتهام ضد النقاد المشاركة على حد تعبير الدكتور فهمي هويدي.

إنها صورة تتبدى كلما حاول فريق ادعاء الفضل على الآخر، مع أن ما يوحد بين مغرب الإسلام ومشرقه أكثر نظرا لوجود المشترك اللغوي والهوياتي والديني، كما أن صراعنا مع الضفة الأخرى يجعل هذه السجلات في حيز المناكفات التي لا ترتقي بمستوى الوشائج ولا ما ينتظر أن الثقافة الإنسانية كما فعل الأسلاف.

إن المتتبع الفاحص ليقف عن تطور العلوم اللغوية والعقلية والفلسفية من خلال وجود مدارس استطاعت أن تؤصل للفكر اللغوي وأن تساءل الراهن بعيدا عن مزلق الانبهار والاستلاب ولو كان على بعد مئات الأميال منا.

### 3. الخلفية الإبستمية للنظريات النقدية:

يتعين قبل البدء الوقوف لحظة للحفر في الخلفيات الفلسفية المعرفية للخطاب النقدي المعاصر. وهي المرتكزات التي يقوم عليها أي خطاب نقدي وذلك لمعرفة الجذور قصد الوصول إلى المآلات الإجرائية والآفاق المفهومية التي ترجوها أي منظومة مفاهيمية، فالدراسات

النقدية للفرضيات والنتائج العلمية للدراسة الهادفة على بيان أصلها المنطقي لا النفسي وسمتها الموضوعية (حافظ إسماعيلي، 2009، صفحة 21).

لقد تشكلت فلسفة نيتشة الأخلاقية القائمة على مبدأ الحق والمعرفة والسلطة التي أسست لتمييز الغربي وحبه للتفوق والتميز إضافة إلى مواطنه هايدجر واتجاهه الوجودي التأويلي الذي بسط سلطته على المدارس الفلسفية في القرن العشرين كما تأثر به ميشال فوكو وأسس لتيار ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية رغم ارتباط اسمه بها تماما مثل رولان بارت الذي يعم وجهه شطر السيميولوجيا آخر حياته.

إن هذه المعارف التي تأسست في حضن الفلسفة المادية التي جابتها الفلسفة الماركسية المادية وربطتها بالنقد لكل ما هو قائم بما في ذلك السياسة والمواقف الحزبية، وأطلق العنان للفكر الرأسمالي القائم على الهيمنة بكل وسائلها وأبعادها، ومنه الحق في القوة والسيطرة على الآخر الضعيف، بحيث شكل العلامة الفارقة للثقافة الغربية وبسط ذائقته على مختلف مناحي الثقافة الإنسانية، ومن ثمة توجيه العالم فكريا وسياسيا وثقافيا.

ولعل فكرة العولمة بكل حملتها هي التحلي الأكبر لهذا التصور الذي وسم ما يعرف بالمركزية الغربية التي مجدت الإنسان ككائن عاقل يستطيع تفسير الظواهر المحيطة به بعيدا عن أي تأثير أو سياق خارجي، وانطلاقا من هذا سيطرت البنيوية كمنهج معرفي امتد إلى الدراسات اللغوية مع دوسوسير الذي نادى بدوره بالغلق على النص وأقصى كل السياقات الأخرى واستمر ذلك طويلا ليتشكل ما يعرف بالنقد الحداثي.

#### 4. النقد الحداثي:

يرى الدكتور إبراهيم الحيدري أن النقد الحداثي ارتبط بعصر التنوير ومبادئه في التحرر والتقدم والعقلانية، وكان إيمانويل كانط يلح على أن العصر هو عصر النقد الذي هو محاولة أولية جادة لفهم العالم وتغييره بإيقاظ كل الطاقات الإبداعية الكامنة للكشف عن مكان القوة والضعف، ذلك أن جوهر النقد هو الحرية على حد قوله، وقد تعرض الفكر الإنساني في مرحلة العصور الوسطى إلى نوع من القلق والتحريم الذي مارسه السلطة الدينية معتبرة الخروج عن أطرها وقيودها جريرة تجب معاقبتها، ولذلك جاء ما يعرف بالفكر التنويري الذي بدد الظلام الكنسي محاولا الخروج بالعقل الإنساني إلى فضاءات النور والتحرر على كافة الصعد والمستويات.

وفي عالمنا العربي على امتداده مشرقه ومغربيه، حاولت كوكبة من البحاثة والدارسين أن يمارسوا هذه القناعات الفكرية والأطر النقدية، لكن ارتطاما كبيرا يكون قد حدث بفعل معيقات وحواجز تتعلق بخصوصية الفكر العربي الإسلامي باعتبار أن مكون الدين له الحجية الأولى في تأطير الحياة على اختلافها ولا يمكن تجاوزه بداعي تحكيم العقل وإطلاق العنان لأحكامه، ولعل هذا ما حدا بمفكر كبير كمحمد عابد الجابري أن يشير في مشروع نقده الكبير للعقل العربي منتقدا السلفية الفكرية وثقافة البلاغة والبيان وأثرها على الذائقة العربية، وينسحب الأمر على كل من محمد أركون أستاذ الفلسفة الإسلامية في إشارته إلى المقدس رغم شديد الانتقادات الموجهة إليه.

#### 5. النقد ما بعد الحداثي:

كانت لقيم الحداثة ومفرداتها ردة فعل تمثلت في ثورة تيار ما بعد الحداثة في الغرب وذلك سعيا نقاد أداروا ظهورهم للحداثة كرولان بارت ومثلا والذين حاولوا التأسيس لهذا المعطى الفكري بانتقاد فكرة المركزية الغربية ومتعاليتها، ودعوا إلى تبني التفكيك والهدم كأسلوب جديد في مقارنة النصوص متجاوزين بذلك كل المدارس مهاجمين نمط السرديات الكبرى التي انهارت والمناداة بفلسفة اللامعنى واللانظام وغيرها من أدبيات العبث، وقد تجلت هذه المفاهيم في النقد التفكيكي ورائده الفرنسي جاك دريدا كما تجلت في النقد النسوي

والثقافي، وفي النقاد المغاربة ظهر في المغرب الأقصى عبد الكبير الخطيبي في كتابه "النقد المزدوج"، وفي الجزائر عالج كل من عمر أزراج وأحمد دلباني ووحيد بن بوعزيز كتابتهما فيما يتعلق بالدراسات الثقافية والنقد الثقافي.

في المقابل نتفق على أن الخطاب النقدي في العالم العربي مشرقه ومغربه كان رجوع صدى للخطاب الغربي، ووبات التفكير في إعادة صياغة نظرية عربية خالصة يمثل المأمول وسقف المطلب النقدي-إن صح التعبير- في ظل الاستلاب الثقافي وانعكاسات الصدمة الحضارية التي أصابتنا منذ رفاة الطهطاوي وطه حسين وجيل الرواد بداية القرن الماضي والدعوات التي ما انفكت تمجد الثقافة الأوربية والانجلوسكسونية باعتباره النموذج الأعلى الذي وجب الاحتفاء والاقتداء به.

إن هذا المناخ الثقافي الذي وجب تغييره والخروج من هذه الوضعية البوائية، فنحن الآن في مرحلة المساءلة بعد لحظة الانبهار والتقليد وقد يمكن الوصول إلى مرفأ الأمان الفكري إن تجاوزنا هذا التشطي المعرفي، وتجاوز ثقافة الاستلاب وجلد الذات والنظر إلى أننا أمة سادت العالم وقدمت للحضارة الإنسانية الكثير.

## 6. الفكر النقدي لدى قدامى المغاربة:

بالعودة قليل إلى الوراء لمعرفة المنجز النقدي في بلاد المغرب الإسلامي يتضح جليا ذلك التفاعل مع النص، ولعل في تجربة القدامى أمثال ابن رشيق القيرواني والسجلماسي وعبد الكريم النهشلي وغيرهم قد أبانوا عن تفكير نقدي أصيل حين ساءلوا التلقي كنظرية وحاولوا التعقيد لها، "فهاهو صاحب العمدة في عبارته لكل مقام مقال حيث يشرح ما يجب أن يكون عليه الشاعر من مقتضيات التوافق فيقول: فأول ما يحتاج إليه الشاعر حسن التأني والسياسة وعلم مقاصد القول فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أذل وأرجع.... فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا (أبو علي الحسن، 1981، صفحة 199/1))، كما أورد هذا المصنف النقدي الكبير مصطلح المحدث والذي أثار جدلا كبيرا في النقد القديم ولا زال .

وخلاصة القول أن الإيضاعات على قلتها تكشف عن تلك الروح النقدية لدى مجموعة من علماء المغرب ومحاوله إمعانهم النظر فيما يتلقونه من نصوص شعرية خاصة أن الشعر كان صناعة رائجة متميزة وسجل العرب وديوانهم.

## 7. تلقي المناهج السياقية عند العرب:

لم تظهر جهود كبيرة في النقد السياقي لدى النقاد المغاربة إلا بعد ستينيات القرن الماضي، وإن سبقت جهود نظرائهم المشاركة في النقد التاريخي والاجتماعي والنفسي على يد جيل الرواد الأوائل أمثال العقاد في دراسته النفسية على أبي نواس وعمر الدسوقي في مقارباته المنهج التاريخي هو أكثر المناهج قدما وحضورا.

أما عند المغاربة فقد كانت جهود الراحل الدكتور محمد مصايف المنهج الوصفي والاجتماعي الذي طغى عليه التفسير الإيديولوجي للنصوص الروائية كما كان الحال مع ابن هذوقة في رواية "ريح الجنوب"، كما قدم عبد المالك مرتاض الناقد المخضرم جهودا في كتابه "نظرية الرواية" و"فنون النشر الجزائري"، كما قدمت الباحثة عابدة لامية كتابها تطور الفن القصصي في الجزائر والذي قاربت فيه المنهج التاريخي.

ويذكر الباحث يوسف وغليسي في كتابه النقد الجزائري المعاصر، وهو عبارة عن مسح تاريخي جيوغرافي للمنجز النقدي منذ محاولاته الجنينية الأولى حيث يرى: "أن المتبع لحركية النقد في الجزائر لا يكاد يرى جهودا قبل ستينيات القرن الماضي إذ كانت مجمل المقاربات تخضع لصرامة توجيهية، ولا جدوى للبحث عن خطاب نقدي جزائري يستحق الدراسة والتحصيص ضمن أطر الخطاب النقدي وحدوده المنهجية والاصطلاحية" (وغليسي، 2002، صفحة 09).

## 8. النقد الجزائري رحلة بين صفتين:

سيطر المنهج التاريخي عند كثير من الدارسين والنقاد الجزائريين ردحا، ويتجلى ذلك من خلال جهود الباحث الدكتور صالح خرفي في كتابه في الأدب الجزائري الحديث "حيث تناول عدة شعراء إضافة غل كتاب شعر الثورة عند مفدي زكرياء للأستاذ بن الشيخ صالح، كما نجد دراسة بعنوان تطور الشعر الجزائري من 1945-1980 للأستاذ الوناس شعباني، وقد كانت مقارباتهم تقوم على تحويل النص من بعض الحالات إلى مجرد وثيقة يستأنس بها الباحث، كما ركزوا على مضمون النص وسياقاته وغيب الجانب الفني تغييرا نسبيا، كما تم التعامل مع النص تعاملًا اركيولوجيًا" (وغليسي، 2002، الصفحات 34-35).

قدم الدكتور محمد مصايف باعتباره طرق مناهج عديدة مما صعب من مهمة وضعه في منهج معين، وإن كان المنهج الاجتماعي كما سبق هو العلامة الفارقة في دراسات المرحوم محمد مصايف، ولعل أهم منجزاته النقدية كتابه الموسوم: "الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام"، وهو دراسة ضخمة حاول تصنيف الأعمال الروائية وقد غلب عليه التحليل الوصفي وبعض الأحكام التي لا تخلو من مسحة أيديولوجية على أن هنا ك تطورا على مستوى الجهاز المفهومي نلمسه من خلال دراسات الدكتور واسيني الأعرج باعتباره أكاديميا ومبدعا، فقد كان أول دراسة منهجية منظمة للرواية الجزائرية في ضوء التصور الاجتماعي (الواقعي) (وغليسي، 2002، الصفحات 34-35).

كما خاضت أسماء كثيرة عوالم النقد مثل الدكتور محمد ساري والطاهر يجاوي وغيرهم ممن أسسوا أكاديميا وبحثيا للجهود النقدية في هذا القطر المغربي، أما النقد الألسني فكانت البداية مع الباحثة الدكتور عبد المالك مرتاض في أول انعطافة له سنة 1983 في كتابه: "النص الأدبي من أين وإلى أين؟" حيث قارب المناهج النسقية من بنوية وأسلوبية وسيميائية على نصوص عربية كدراسته لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ دراسة سيميائية، لقد استطاع مرتاض بعقله الحصيف وتكوينه العالي الحاجة إلى تبني المناهج النسقية وضرورة التخلي عن المناهج الساقية لأنه عجزت عن مواجهة النصوص الأدبية باعتبارها راحت تكيل الأحكام الإيديولوجية دون عمق تحليل للنص وملفوظاته ودواله التي هي المخول الوحيد لتتطرق بدلا عن صاحب النص حين يورد: "عهدنا بالمناهج التقليدية قصاراها تناول النص من حيث مضمونه غالبا، وهل هونبيل أوغير نبيل، وتناول اللغة من حيث هي شكل، وهل هي سليمة أو غير سليمة قبل أن تصدر أحكاما صارمة على صاحب النص أو له" (مرتاض، 2003، صفحة 42)، كما يعد الدكتور السعيد بوتاجين ورشيد بن مالك من رواد هذا المنهج في الجزائر إضافة إلى الدكتور شريط والدكتور عبد الحميد بورايو.

أما نقد ما بعد الحداثة فقد جاء كنتيجة للتحويلات التي عرفتها المنظومة الثقافية والفكرية في أوروبا أولا بانتهاء ما يسمى بالثقافة المركزية وتقويضها وتجاوز أطروحاتها، ولعل تجربة النقد الثقافي المتنامية في الجزائر منذ أن زرع بذورها عالم الحضارة وفيلسوفها الراحل مالك بن نبي من خلال كتابته عن الإنسان والثقافة وشروط النهضة والحضارة مما يعد سبقا في هذا المجال المفاهيمي على أن أبحاث العصامي أزراج عمر في مجال الدراسات الثقافية وجهود كل من الأستاذ أحمد دلبياني والدكتور وحيد بن بوعزيز في مؤلفه "جدل الثقافة" والذي يرى فيه أن محاولة التأصيل في الوقت الحالي تعد بمثابة سباق بدون نقطة وصول، وقد وضع هذا الباحث محاذير عمله بسبب موضوع الثقافة الذي يتمدد بحيث من الصعوبة القبض على مفاهيم هلامية يشكل البشر نواتها الصلبة على حد قوله.

إن مضامين الكتاب تعد خطوة كبيرة على درب البحث في هذا المجال المعرفي على درب التأسيس لنقد ثقافي عربي مغربي على غرار ما فعله عبد الله الغدامي بتطبيقاته على الأنساق الثقافية العربية، وغير بعيد يقف الدكتور عبد القادر فيدوح متأملا في النقد الثقافي خاصة في الرواية باعتباره أضحت خطابا معرفيا تتجلى فيه مفاهيم الثقافة الإنسانية بتجلياتها المضمرمة والعلنية كما يعد حفناوي بعلي من المساهمين في هذا المضمار النقدي من خلال كتابه "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" وهو إضافة متينة تحسب له.

## 9. جهود النقد المغاربة (المغرب الأقصى):

المتتبع لمسار الحركة النقدية في هذا القطر المركز - إن صح التعبير - ليدرك حجم الحركة الثقافية النقدية والفلسفية، وهي تعكس بحق جهودا طيبة تبذل في سبيل الارتقاء بالقيمة النقدية والمنجز بهذا القطر، ولا أدل على ذلك من تلك المشاريع الفكرية النظرية التي اشتغل عليها فلاسفة كثر أمثال الدكتور محمد عابد الجابري في نقده لبنية العقل العربي من منظور حدائث إضافة للدكتور طه عبد الرحمن الذي ينطلق من خلفيات أخلاقية إسلامية ولم ينبج من نقده حتى الجابري والذي انبرى لمفهوم الحدائث بالنقد كما أن هناك جهود كل من عبد الله العروي وعبد الإله بلقزيز التي لا يمكن تجاوزها.

إن تلقي النقد المغاربة للنظريات الغربية مكن من استيعابها جيدا نظرا لقرب هذا القطر من الضفة الأخرى وإجادة أهله للغة الفرنسية وتلقي المناهج من منابعها الأولى في أوربا ووجود خلفية علمية مكن الدارسين من القدرة على الاستيعاب ثم إلى الانتقال إلى مجال التطبيق والمساءلة، فذهبوا بعيدا في الحفر والتحليل ولا أدل على ذلك من تلك المنجزات النقدية نظيرا وتطبيقا لهذا المنهج، فقد قارب عبد الفتاح كيليطو المنهج النبوي من خلال كتاباته باللغة الفرنسية فكتب الأدب والغرابية وهو دراسة بنيوية، كما قارب لحمداني المنهج النبوي نفسه في دراسة تطبيقية ضخمة وحذا حذوه ناصر حمداوي، كما تألق السعيد بنكراد في السيميائيات، وفي النقد الروائي نجد كل من حسن البحراوي وسعيد يقطين ومحمد عزة وكثيرة هي أسماء الباحثين والأكاديميين الذين أثروا المكتبة العربية بدراساتهم المستفيضة.

لقد استطاع النقد في هذا البلد أن يرتقوا بالدراسات النقدية ويذهبوا بعيدا لتحقيق التميز والفرادة والتفوق أيضا فقد أصبح الدارسون العرب ينظرون بالاعتزاز والفخر لهذا القطر نظير ما حققه الدرس النقدي على درب البحث والمساءلة الجادة. بل حتى من الغربيين أنفسهم وهما رائد البنيوية رولان بارت الفرنسي يعترف للباحثة المغربية عبد الكبير الخطيبي بعدما اطلع على كتاباته: النقد المزدوج و الوشم... الاسم العربي الجريح فيعلق مقرا بأنه يأخذني إلى ضفاف لغته حين أقرأ له.

إن وقفة عند هذا المنجز النقدي والتراكم المعرفي لبيبان عن نهضة فكرية ومسار منهجي عميق في البحث والدرس تجعلنا نشعر بالطمأنينة العلمية كما الفخر على حركة النقد وصيرورتها في هذا القطر، ويرى الدكتور سعيد يقطين فيإجابة على سؤال حول النقد الأدبي الذي يعتبر أهم منجزات الثقافة المغربية فيرد: إن هذا الحكم ليس صحيحا، إذ أن الثقافة المغربية قدمت الشيء الكثير في مجال الدراسة التاريخية والفلسفية للثقافة العربية والمساءلة لا تعدوا أن تكون وليدة انطباع فقط ولكنها واقع حقيقي يشهد به العرب في المشرق العربي ودول المغرب العربي أيضا ويعزو يقطين ذلك إلى جدية الدراسات الأدبية وعمقها المعرفي والمنهجي وجدتها أيضا.

كما يتطلب منا لزاما على رأي الباحث سعيد يقطين: إعادة تقويم المسار النقدي لنصل إلى قول أنه جيد أم أنه نريد الانتهاء إلى أنه دون المستوى المطلوب، لقد أعاد طرح إشكالية النقد العربي بصفة عامة، و تحدث عن آفاقه لكن بالتفكير الجدي العلمي لتجاوز فخ الوقوع في الإعادة و الاجترار.

لقد استطاع المغاربة أن يفرضوا أنفسهم كواقع نقدي وثقافي خاصة ما تعلق بالنقد الروائي فهناك الكثير من الدراسات والإصدارات الراقية التي تدل على كم وكيف أيضا نحو الوعي بتحويلات السرد الروائي العربي لزهور كورام، والرواية العربية من الرواية العائلية إلى محكي الانتساب العائلي، قراءة تحليلية نفسية لحسين مودن، ودراسة صورة الشخصية الرئيسية في الرواية العربية لإبراهيم الحجري هذا الحراك النقدي الكبير جعل رائد النقد في العالم العربي جابر عصفور في كتابه زمن الرواية يتحدث بإعجاب عن التجربة النقدية المغربية وما أضافته للمشهد النقدي العربي.

## 10. المنجز النقدي التونسي.. وقفة وقراءة:

شهدت تونس نهضة أدبية وفكرية متميزة، كان النشاط السياسي والنقابي والأدبي وافرًا مما خلق حالة من النشاط والتفاعل داخل أركان هذا المجتمع رغم قيود الإدارة الاستعمارية ومقاومتها لكل فكر حر قد ينتج عنه حركة كفاح لا تقوى فرنسا على مجابته، وتزامنا مع هذا كانت الصحف نشطة بالنشر أعمال الكتاب والشعر وأصحاب المنابر "فهذه الصحف وتلك المجالات ساعدت على بعث وعي أدبي، وأسهمت في نهضة الشعر، وكانت صفحاتها مفتوحة لأول ما نشر من روايات وقصص" (الجابري، 1982، صفحة 28).

وإضافة إلى وجود القصة التي غلب على مضامينها الاتجاه السياسي والاجتماعي نظرا لحالة الغليان الشعبي وموقفه من الاستعمار الفرنسي، ولم يكن الشعر بعيدا عن هذا المنحى التناظري مع بنيات المجتمع تعضده حركة فكر تجديدي يدعو إلى التفتح على الآخر لكن يقاوم الاستلاب ويرفضها إذ أن "هذا الفكر كان باستمرار يترصّد الأحداث الشعبية، ويعبر عن أشاق الجماهير في الحرية والعدل الاجتماعي، ويؤرخ لحركة الانتصار على المستعمر ويواكب التطلعات المستقبلية، ويشير دائما إلى الفهم الواعي لقضية التجديد والحداثة في الإبداع" (خفاجي و آخرون، 1986، صفحة 14).

كانت محصلة ذلك المنجز الشعري والسردى الكبير الذي ضمته رفوف المكتبة العربية والمغاربية وشهد الشعر نهضة قوية بداية عشرينيات القرن الماضي على يد الشابي ومحمد الغزي وجميلة الماجري وغيرهم كما كان للقصة حضورها من خلال أعمال محمود المسعدي الراقية.

على أن الذي يعيننا في هذه العجالة البحثية هو راهن الخطاب النقدي في تونس من خلال المنجز لأسماء في هذا القطر، وما يشدنا بداية هو تلك الدراسات الأدبية والنقدية لتوفيق بكار وجهوده الكبيرة في التأسيس لنقد تونسي امتد مشاريعه لعقود وما خلفه من منجز وآثار مثل شعريات عربية سلسلة عيون المعاصرة التي قدم فيها لروايات عربية رائدة كموسم الهجرة إلى الشمال للسوداني الطيب صالح وقد رأى نور الدين الجريبي بتمثل بكار للمنهج البنيوي إذ لم يجد أفضل من البنيوية التكوينية لغولدمان لسد هذه الثغرة المنهجية، فتحليل الدلالة الاجتماعية أو الثقافية يعضد تحليل البنية الشكلية فهما عملاقان متكاملان يساعدا على الاقتراب من النص، ويقول المرحوم الدكتور محمد باردي عن طريق بكار استفدنا من محمود أمين العالم وبني العيد وعبد الرحمن منيف ونبيل سليمان وثلة من المنشغلين بالرواية في تونس، عن طريقه عرفت قابس أثرى أيامها الثقافية إذ استغلّت أبرز الكتاب العرب للدرس النقدي التونسي والجامعة والحقل الثقافي والسياسي معا باعتباره كان مثقفا عفويا فاعلا في المشهد العربي والتونسي.

وفي هذا الإطار يوضح الناقد نزار شقرون الخصوصية التي تميزت بها التجربة التونسية التي حاولت التأسيس لمدرسة نقدية تونسية رغم أنه من المبالغ فيه القول بوجود مدرسة نقدية تونسية خالصة إذ أن: التونسيون لا ينتجون المعرفة النقدية وأفضلهم من تمثل المنتج النظري الغربي وأجراه على الإنتاج الأدبي العربي لكنه يقر أن للمنجز النقدي التونسي خصائص هي مواكبة المنجز الغربي والاستنارة به في تحليل النصوص العربية.

وبالإضافة إلى هذا الاسم الأدبي والنقدي، هناك اسم كبير ارتبط اسمه بالأسلوبية وهو الدكتور عبد السلام المسدي أحد رواد هذا المنهج في العالم العربي بما تركه من مؤلفات تشرح وتفسر دقائقه وهو إلى ذلك لغوي وألسني كبير وباحث في التراث العربي، وقد دعا في هذا المضمار إلى وجوب الاطلاع على التراث وقراءته جيدا حيث يقول: «إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في جدل خصيب يخرج لنا ثمارا مفهومية ليست صورة مشوهة للتراث ولا هي صورة مسلمة من اللسانيات وإنما هي عطاء نوعي» (المسدي، 1991، صفحة 359).



وعبد السلام المسدي باحث بنيوي نسقي لكنه لا يهمل قيمة السياق في فهم إشكالات النص الأدبي فهو يرى أن الأدب في أمة من الأمم بمثابة مجمع خصوصياته الثقافية ففيه تتقاطع مسالك الأفراد والجماعات وعلى مرآته تنعكس صور التراكم الفكري... فالأدب بهذا الاعتبار معيار للنسق الذي بداخل نسيج البنية الحضارية عند كل الشعوب، ولكنه عند بعض الأمم أظهر منها عن بعضها الآخر. (المسدي، المصطلح النقدي، بدون سنة النشر، صفحة 18).

لقد استطاع هذا الباحث بما له من حمولة معرفية وسعة اطلاع على التراث العربي الوافر أن يطرح تساؤلات نقدية متجاوزا التفكير النمطي التقليدي ليرسم مسارات جديدة للأدب ونقده بحيث أفضى سؤال الأدب عند عبد السلام المسدي إلى ربطه باللغة باعتبارها وعاءه، ولذا طغت على جميع كتاباته الأبحاث اللغوية واللسانية وقضية شعرية اللغة، ولعل كتابه قراءات مع الشابي والمتنبي وما تقاطع بين الشاعرين من حالة نفسية أو ما يسمى بالتحليل النفسي للأدب وعلم النفس اللغوي ما جعل المسدي يقف عند تقاطع شخصيتين شاعريتين تنضحان بصور الإباء العربي من خلال ملفوظات ودوال اللغة.

## 11. خاتمة:

تعد منطقة المغرب العربي حاضرة من حواضر العلم والمعرفة بما زخرت به من منارات ومؤسسات في كل أقطاره أضحت قناديل تبدد حالك السواد وتصيره ضياء وألتمى، وقد كانت هذه المنارات روافد شكلت القاعدة الخلفية الإبتيمية للمنظومة العرفانية بما أسهمت فيه من موفور نفائسها وذخائر مخطوطاتها في شتى مناحي الثقافة العربية مما مكن أبناءها الجادين أن يتكثروا على هذا الركام المعرفي الثمين ليشكلوا به انطلاقة حقيقية نحو الإضافة والإبداع.

لقد استطاع الدرس النقدي بما توفر له من مخزون معرفي وجدية باحثيه القائمة على التلقي والتأصيل وإعادة بعث الروح المحلية، فقدم قراءات استبصارية كشفت من خلالها القدرة على الفهم وعلى مرافقة الكم الإبداعي الأدبي في هذه الأقطار شعرا ونثرا، ولعل من يمعن النظر في هذا المنجز النقدي على مدار عقود بتلويناته السياقية والنصانية من خلال أسماء في مختلف الأقطار استطاعت أن تحقق التميز وتصنع الفرادة بما أسالت من مداد على صفحات الدرس النقدي تأصيلا وشرحا وإضافة كالجبري وأركون والمسكيني في مجال الفلسفة والفكر النقدي من خلال مساءلة التراث ونقد الحدائث الغربية.

أما في النقد النصوي أو الروائي فهناك عديد المنجزات الباهرة التي تنم عن حركة دؤوبة مما أفضى إلى وجود تطبيقات إجرائية وتمثل للمصطلح النقدي باستعمال الرسوم والمخططات اللغوية التي تكشف عن معرفة حققة وتحكم منهجي، ومما يلفت النظر من خلال أن هناك ملاحظات تجدر الإشارة عليها في نهاية البحث أسهمت في هذا النشاط لعل أهمها:

- ✓ الحواضر الثقافية التي شكلت مخزونا معرفيا رسا على مرافقتها كل طالب للعلم متشوق له، والتي شكلت بمرور الوقت الحاضرة الثقافية والسياج المنيع الذي يقدم الإضافة ويبقي عاقبة الاستيلاء و الذوبان.
- ✓ وجود حركة فلسفية وفكرية تشتغل على المساءلة والنقد، ولا تركز للنقل والتقليد.
- ✓ الثقافة العربية الأصيلة إضافة إلى اللغة الفرنسية وقرب المغاربة من مهاد البنيوية(فرنسا) مكنت من المنهج البنيوي بكل أفرعه باعتباره عمود الحدائث الغربية وحاضن الفكر الألسني.
- ✓ وختاماً لهذه الورقة البحثية نرجو أن تكون التفاتة ومحاوله لضبط المصطلح وتقريبه من فهوم الطلبة والمشتغلين على النقد بما يدعى التجسير المعرفي الذي نحب أن يكون بين الأقطار المغاربية.

## 12. قائمة المراجع:

1. ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (الإصدار الطبعة الخامسة). تحقيق: محمد علي عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع.
2. المسدي، ع. ا. (1991). *حد اللغة في التراث اللساني العربي*. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
3. عبد السلام المسدي. (بدون سنة النشر). *المصطلح النقدي*. تونس: مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع.
4. عبد المالك مرتاض. (2003). *ألف ياء، تحليل مركب لقصيدة أين ليلاي ل محمد العيد*. الجزائر: دار الغرب للنشر.
5. علوي محمد الملاخ حافظ إسماعيلي. (2009). *قضايا أبستمولوجيا اللسانيات* (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: منشورات الاختلاف.
6. محمد صالح الجابري. (1982). *القصة التونسية نشأتها و روادها* (الإصدار 28). تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله.
7. محمد عبد المنعم خفاجي، و آخرون. (1986). *الرؤية الإبداعية في أدب محمد مزالي* (الإصدار الطبعة الأولى). مصر: دار الكتاب المصري.
8. و غليسي، ي. (2002). *النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية*. الجزائر: إصدارات رابطة إبداع الثقافية.